المقتطف

الجزء الرابع من المجلد التاسع بعد المائة

١ نوفمبر سنة ١٩٤٦ — ٧ ذي الحجة سنة ١٣٦٥

هذي هي الاغلال

لعلّ هذه أول مرة في تاريخ هذه المجلة يعنى محرر من محرريها بكتاب يصدر فيخصص له الصفحات الأولى منها . لا نقول هذا لأن هذا تقليداً جديداً في الصحف العلمية أو الأدبية ، فقد تفرد مجلة من كبريات مجلات العالم مقالها الافتتاحي لنقد كتاب أو التعريف بمؤلف ، وإنما نذكر ذلك لأن هذه أول مرة يفرد المقتطف افتتاحيته للكلام في كتاب يصدر في الشرق أو الغرب . ولا شك أن ذلك إنما يرجع إلى أن هذا الكتاب ، هو في تقديرنا يستحق هذه المنزلة وله أن يحتل هذه المكانة .

ليس لنا بصاحب هذا الكتاب معرفة من قبل ، ولم يدر بخلدنا أن أستاذاً نابهاً كالأستاذ عبد الله القصيمي يمكن أن يخرج على أهل هذا الزمن بمثل هذه الأفكار من بيئة بعيدة عن الاحتكاك بأفكار العصر الذي نعيش فيه ، ويذهب في تحليل العقلية الجامدة التي وقفت بأهل الاسلام القرون تلو القرون مذاهب الحر المتزن المستند إلى حقائق مقتطعة من صميم الحالة الاجتماعية والعلمية ، التي تكتنف أهل الشرق والمسلمين منهم خاصة .

ونحن فوق ذلك لا ننتصر للكتاب ولا لصاحب الكتاب ، وإنما ننتصر لاعتقادنا الجازم بأن الكتاب وصاحب الكتاب هما إلى جانب الحق في تصوير عقلية المسلمين في هذا الزمن الذي دارت عجلته وظلت عجلة المسلمين واقفة ، ولأن هذا العصر لا يرأف أهل النزعة الأخروية التي دعها على الاسلام مسلمون أو غير مسلمين ، ساءت نيتهم أم حسنت ، أولئك

الذين أدخلوا في الاسلام من بدعات المخنوع والتأخر والانحلال ما صبغه بتلك الصبغة التي لا يرضاها لنفسه مسلم ، ويأباها الاسلام على كل المسلمين .

أنتصر لهذا الكتاب لأني أشتم فيه ريح القوة والجبروت والعزة التي هي من صفات الإسلام ، وليست الآن من صفات المسلمين . وأتنسم فيه عبير حرية الفكر وحرية الضمير ، وأرى فيه هزّة نفسية تصدر من أعماق الضمير الاسلامي على حقيقته الأصيلة، لا على ظاهر تلك الأقوال التي دسها على الاسلام وعلى الاسلام ، مغفلون من أصحاب التقوى الزائفة ، أو مدلسون من أصحاب المذاهب المريضة ، أو مزورون من أهل السياسة ، أو شعوبيون يودون لو أن العرب والعربية والعروبة تطوى صفحاتهنّ جميعاً من هذا الوجود ، أو دخلاء في الإسلام نقلوا إليه من مذاهب الزهد والنسك والباطنية، هنوداً كانوا أو روماً أو فرساً أو أغارقة ، ما كان عليهم في ضياع ملكهم وزوال سلطانهم ، أمام تلك القوة الكاسحة وأمام الخُلق الثابت والنفس المتأججة التي ضرب بها الإسلام في أصول تلك الممالك، فهشمها وحطم ملكها وأباد سلطانها، بعد أن نخر منها الزهد والنسك والباطنية العظم، وعرق اللحم، وخلفها حطاماً ، وجعلها أحاديث .

أيصدق مخبول أو مجنون أن النبي العربي صاحب الرسالة العظمى في تاريخ البشرية يقول : لا تنزلوا النساء الغرف ولا تعلموهنّ الكتابة واستعينوا عليهنّ بالمغزل وسورة النور ؟ وهو الذي جاء بدينه لمرأة نصيراً ، وهو الذي أنقذ الموءودة من جهالة الوثنية الأولى !

أيصدق مخبول أو معتوه أن محمداً بن عبد الله العربي الصميم وصاحب رسالة الإسلام يقول : اللهمّ من آمن بي وصدّقني وعلم ان ما جئت به هو الحق من عندك، فأقلل ماله وولده وحبب إليه لقاءك ، ومن لم يؤمن بي ولم يصدقني ولم يعلم ان ما جئت به هو الحق من عندك، فأكثر ماله وولده وأطل عمره ؟ وهو الذي جاء بدين الدنيا والآخرة !

أيصدق مسلم صادق الإسلام أن نبيّه يقول : إنما بعثت بخراب العالم ولم أبعث بعمرته ؟ إلا أن يكون خليع بمارستان أو هارباً من مستشفى مجاذيب !

أيدخل في تصور مسلم مؤمن بمحمد وبرسالة محمد أنه يقول : من أخذ لقمة أو كسرة

من مجرى الغائط والبول فصلها ثم أكلها لم تستقر في بطنه حتى يغفر له ؟ إلاّ أن يكون طويل الأذنين كالحمار ؟

أتصدقون أيها المسلمون الصادقو الاسلام ان نبيّكم وصاحب رسالتكم يقول : لا يأتي زمان إلاّ والذي بعده شرٌّ منه ، وأنه يقول : لا يزداد الأمر إلاّ شدة ولا الناس إلاّ هرجًا ولا تقوم الساعة إلاّ على شرار الخلق ، وأنه يقول : كل شيء ينقص إلاّ الشرّ فإنه يزيد ؟

أهذه هي العقلية التي دوّخت العرب وهم صاقلة الأمم ، ودوخت الفرس والرومان ؟ وفتحت العالم المعمور من حدود بحر الظلمات إلى أغوار الصين ؟

اذا كانت الصهيونية قد استطاعت ان تدسّ على الاسلام وعلى العرب وعلى المسلمين أجمعين كل ما اتصفت به الأمم التي أكلها الاسلام أكلاً وهضمها هضماً ، وهي ترسف في قيود الزهد والنسك والباطنية ، وإذا كنا قد استطعنا الآن أن نلحظ شعاعاً من نور في الأفق الذي غشت عليه هذه الزعمات وأظلمته تلك الآراء المزوّرة والأحاديث المدسوسة ، ألا يكون من أسباب فوتنا أن نعرف انه قد دُسّ علينا ودُلّس على ديننا وزوّر على عقيدتنا ، وأننا بذلك انحدرنا من تدويخ الامبراطوريات وتحطيم القائم من الوثنيات ، إلى الكلام في مثل ما تكلم فيه السيوطي في كتابه « كشف المعمي في فضائل العُمَيّ » ، وكتابه « الفرقوث في فضل البرغوث » ؛ أو ما تكلم فيه ابن حجر العسقلاني في كتابه « بذل الماعون في فضل الطاعون » ، أو ما ترى في كتب المناقب وغير كتب المناقب من الخرافات التي تهلع لها قلوب الأحرار ، والأساطير التي تهتز لها الأرض وتنزع السماء ، أو البحث فيمن يحمل فوق ظهره قربة ملئت فساءً هل تصح صلاته بها أم ينتقض وضوؤه ؟

الأغلال التي قيدت الإسلام والمسلمين ، والأساطير التي أودت بحياة الرومان والفرس ، والخرافات التي دست علينا ودخلت في ديننا زوراً ، وزعمات الزهد الكاذب والنسك البائر والصوفية المجنونة والباطنية البلهاء ، تلك هي الأشياء التي يدعو هذا الكتاب إلى تحطيمها ونبذها بل وحرقها وتذريتها مع الريح ، لنرتد ثانية إلى إسلام محمد والصديق وعمر ، وإلى رجولة بن الوليد وأبي عبيدة وعبد الرحمن الداخل ومحمد بن القاسم ، ونقول مع نبينا وصاحب شريعتنا السمحاء : الساكت عن الحق شيطان أخرس.

اسماعيل مظهر